الأول : اللغة المكتوبة ، إذ يقوم بها عادة العلماء والأدباء ، وتأتى بعد الفكرة والروية .

الثانى : استخدام اللغة من بعض القبائل البدوية فى الصحراء ، وذلك لعزلتهم الاجتماعية التى حفظت عليهم صورة ما توارثوه من نطق اللغة .

أما اللهجات فقد ازداد نفوذها فى هذا القرن ، فشمل العام والخاص وتعددت صورها فى الأمصار والأقاليم بما حملت من لحن ورطانات وتحريف ، وتسرب هذا نفسه للهجات البادية بطول استمرار الصلة بين البدو والحضر من ناحية ، ويفعل الثورات المستمرة على الدولة العباسية من ناحية أخرى ، حيث كان الثائرون من الزنج والقرامطة ينحازون للبادية ، فيتخذونها موقعا للوثوب منه على الأمصار ، أو ملاذا يلجأون إليه فرارا من مطاردة جيوش الدولة .

وباختصار : فإنه من الممكن أن يقال : إن اللغة الفصحى أصبحت فى أواخر القرن الرابع « لغة كتابة » وما هو بسبيل ذلك من مواقف الجد والتروى كالخطابة والشعر والأحاديث الجادة بين الخاصة من العلماء وأهل الأدب .

ولنتأمل وصف ذلك فى ثلاثة نصوص لعلماء من القرن الرابع الهجرى ، أحدهم أديب وهو قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧) والثانى لغوى وهو أبو الحسن الزبيدى (ت ٣٨٠) والثالث رحالة وهو المقدسى (ت ٣٨٠)

● قال قدامة : وربما اغتفر فى دهرنا هـذا اللحن والخطأ للإنسان فى كلامه لكثرة اللحن فى الناس ، وأنه قد فشا وعظم ، وفسدت الفصاحة بمخالطة العرب الأعاجم والأقباط وسائر الأجناس ، فأما فى الكتاب فغير